النقد الأدبي من منظور النقد الثقافي

Literary criticism from the perspective of cultural criticism

نوال بوزكري[1,*]، **أد- قويدر قيطون**[2]

[1] جامعة الوادي، (الجزائر)، الايميل: bouzekri-nawal@univ-eloued.dz

[2] جامعة الوادي، (الجزائر)، الإيميل: kouider201230@gmail.com

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده

تاريخ الإيداع: 2022/02/15 **تاريخ المراجعة**: 2022/04/28 **تاريخ النشر**: 2022/11/30

ملخص:

عرف النقد الأدبي منذ أن عرفت الإنسانية الفن والأدب أي منذ زمن لا يمكن تحديده وتطور مع الوقت ليكون أكثر منهجية ودقة، فقد تولدت عنه عدة مناهج ومقاربات تواكب المنجز الأدبي، وتتسابق النظريات النقدية الأدبية في دراسته، ثم جاء النقد الثقافي ليقول كلمته أيضا حول النص الأدبي ويدعو النص إليه ليقاربه. مما أثار جدلا نقديا أن نعرف صورة النقد الأدبي من منظور النقد الثقافي والذي أحدث جلبة بقدومه ومحاورته للنقد الأدبي، سنقف عند النقد الثقافي تعريفا ومنهجا ورؤى. ونعالج قضية الجديد الذي يقدمه للنص الأدبي، وأسباب ثورته على النقد الجمالي رغم ما قدمه هذا الأخير من منجز عظيم.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي؛ النقد الأدبي؛ الأنساق الثقافية؛ الجمالية؛ المضمر.

Abstract:

Literary criticism has been known since humanity has known art and literature, i.e., since a time that cannot be determined and developed with time to be more systematic and accurate. Several approaches and approaches have been generated from it that keep pace with the literary achievement, and literary criticism theories compete in its study, then cultural criticism came to say its word also about the literary text The text calls for him to approach him. What sparked a critical controversy is that we know the image of literary criticism from the perspective of cultural criticism, which made a fuss by coming and talking to literary criticism. And we address the issue of the new that he presents to the literary text, and the reasons for his revolution against aesthetic criticism, despite the great achievement made by the latter.

***Keywords**: cultural criticism; Literary criticism; cultural patterns; aesthetic; Implicit.*

* المؤلف المراسل.

مقدمة

تعددت المناهج النقدية الأدبية واتسعت حقولها؛ وذلك كله بهدف خدمة النصوص الأدبية ومحاولة التعمق في قضاياها وسبر أغوارها، دون إغفال أي جزئية ليكون النقد بذلك وفق آلياته المتعددة ومناهجه الكثيرة متجاوزا البعد السطحي الذي يبدو جليا لكل قارئ مستهلك. فالنقد الأدبي ليس مرآة تصور النص الأدبي كما يظهر في بدلته اللغوية وفي كامل بلاغته وحلته الجمالية؛ إنما يتجاوز عمله الاهتمام بالظاهر والجانب الفني الخالص للوقوف عند أبعاد خفية تستتر خلف النسيج اللغوي وحبكته؛ إذن هو وقوف عند المواطن التي انبثق عنها النص وبواطن إنتاجه، وللحكم عليه على أكثر من مستوى، ولما كان النقد الأدبي يعتمد على الجمالية للوصول إلى أبعاد النصوص والبحث في فحواها. إن ذلك بدا لبعض النقاد -ممن لهم رأي آخر تقزيما لقيمة النصوص الحقيقية والتي تغطيها كثافة اللغة الإبداعية التي تفقد -حسبهم- النقد الأدبي القدرة على الخوض في مسارات النص البعيدة؛ ذلك أن النقد الأدبي ينطلق من معطى مغلوط ومفخخ ومحمي بتراكيب لغوية غاية في التميز والفنية والجمالية، وذلك ما يجعل الناقد الأدبي يستعمل كافة المناهج المتاحة- من أجل أن يفك شفرات النص ويلج عالم الدلالات التي يروج لها لا وعي النص ولا وعي المبدع ولا يمكن الوصول إليها إلا من خلال نقد دقيق وآليات محكمة متخصصة في الكشف عن المضمر النصي.

فهل يمكن الاستغناء عن النقد الأدبي ليحل مكانه نقد آخر أو نظريات لها أساليب جديدة في البحث والنظر إلى النصوص؟! وهل يمكن اعتبار النقد الثقافي بديلا شرعيا عن النقد الأدبي أم هو إكمال لمساره لا أكثر؟ وما سبب الآراء المتناقضة التي يطلقها بعض رواد النقد الثقافي في العالم العربي حول القطيعة بين النقدين(النقد الأدبي/ النقد الثقافي) تارة و بين اعتبار النقد الثقافي امتدادا للنقد الأدبي؟؟

العلوم اليوم تفرز كل ثانية الأحدث في كل المجالات فلا يمر وقت حتى تظهر النظريات والرؤى والتجارب التي تدحض فكرة وتعلي شأن أخرى؛ وهذا ما حصل في مجال النقد المتصل بنقد النصوص الأدبية. فقد ظهرت إثر عمليات المثاقفة والانفتاح على العالم مناهج وأساليب تعالج النصوص -بعيدا عن الإشكالات المتصلة بالتأصيل والتلقي- هي مناهج تتغير وفق الحاجة ووفق النظر إلى ما حققته المناهج الحالية والطموح الذي يسعى إليه النقاد من خلال التفكير في التأسيس لنظريات وفرضيات جديدة قد تتحول إلى مناهج تقارب النصوص بأكثر فاعلية وأكثر تحقيقا لما هو مرجو، وعلى هذا ظهر ما يسمى بالنقد الثقافي الذي يمثل نظرية نقدية "وقد نشأت هذه النظرية في الثلاثينيات من القرن العشرين ويعتبر كتاب جدل التنوير لمؤلفيه ماكسهور كهايمر وتيودور أورنو فتحا مغايرا في النقد".1

إذن فالنقد الثقافي نظرية نقدية تقارب النصوص وفق آليات معينة. فوجب أن نقف عند ماهية هذا النقد؟ ومن أين ظهر؟ وماهي أهدافه، وهل تتصادم هذه المقاربة مع مقاربات النقد الأدبي من قبيل حقا وجود خلل على مستوى النقد الأدبي أم هل النقد الثقافي أصابته حمى الحماس الزائد لشيء جديد قدمه فرفض ما قبله؟!

أولا- النقد الثقافي المفهوم الغربي والتلقي العربي

نلاحظ أن النقد الثقافي عبارة اصطلاحية تتكون من مصطلحين (النقد/الثقافة) وبما أن النقد هو مجالنا فهو مصطلح مدرك وأصبح من البداهة بمكان أن نعطيه تعريفا من منطلقات معارفنا وعلمنا به بأنه: "النظر والبحث والتقصي عن الكيفية التي تكتب وتقدم بها النصوص من حيث القوالب اللغوية والموضوعات المتناولة ،والنقد في عمومه دفع للأدب من أجل تقديم الأفضل دوما. وهو يحتاج لضبط معين من خلال مجموعة المناهج التي تؤطر وتنظم الأفكار الناتجة عن التصورات المبدئية لتصبح أكثر دقة وأبعد نظرا وأعمق طرحا، وقد حقق بذلك النقد نقلة فعلية بامتلاكه المنهج والمصطلح ويبقى "للنقد الثقافي تعريفات باعتبار الوظيفة فهو الحكم (jugement)؛ أي الحكم بالقيمة (valeure)، ويكون مرادفا للتقييم والتقدير وهو التفسير Interpretation؛ أي البحث في العوامل المؤثرة في النص، وفي عملية الخلق الأدبية وصلة النص بصاحبه ومحيطه. وهو التحليل Analyse؛ أي تفكيك النص من أجل معرفة مكوناته معرفة دقيقة..."[2] وهذا التعريف يوحي بصعوبة تحديد مفهوم دقيق للنقد واختلاف المعنى يعود لاختلاف الوظيفة . وأما مصطلح الثقافة، فقد اختلف معناها عبر الزمن ليصل إلى المعنى الذي نعرفه به وحتى المتداول اليوم بشكله العام.وقد ورد في لسان العرب ما يحيل إلى الثقافة من خلال أصل الكلمة في العربية من حيث جذرها اللغوي فنجد: "مادة (ث.ق.ف) ثقف، ثقف الشيء ثقفا ثقافات وثقوفة وحذقة .رجل ثقف لقف وثقف لقف وثقيف بين الثقافة واللقافة وثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقا خفيفا المثاقفة وثقفنا فلانا في موضع كذا أي أخذناه".[3]

وقد أوردنا هذا التعريف اللغوي محاولين بذلك تبيين وجود لفظة ثقافة بمعنى الذكاء والفطنة والحذاقة والذي تحول مع الزمن تحولا ليعني مجموع المعارف والعلوم والتقاليد والأعراف لتشمل اللفظة الواحدة كل هذه الحقول المعرفية ولتعبر عنها. وحتى عند الغرب نجد أن مصطلح الثقافة أخذ معنى مغايرا من كونه حمل دلالة عن الزراعة وتهذيب الروح إلى معنى أعم موحد فقد: "أجمع المفكرون الغربيون على التعريف الذي قدمه تايلر للثقافة بوصفها كلا مركبا معقدا يمثل عدة مكونات مترابطة ومتداخلة هي: المعتقدات، الفنون، المعنويات، القوانين، العادات التي يتبناها الفرد داخل المجتمع".[4]

هذا التحول في المفاهيم فرضته قضية تقنين المصطلحات وتهذيبها لتكون أكثر إيحاء واختصارا للمعاني بألفاظ جامعة لها. بالعودة لمعنى الثقافة حديثا نجد مالك بن نبي الذي عني بالثقافة وكل ما يتصل بها فعرف الثقافة في كتابه -مشكلة للثقافة- فقال: "هي مجموع الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه".[5]

نجد أن المفكر قد ربط الثقافة تحديدا بما يتصف به الفرد من أخلاق وما يلفي عليه مجتمعه من أخلاق ومبادئ حتى يجد نفسه قد تبنى كل تلك الصفات المشتركة التي شكلت البيئة التي ينتمي إليها الفرد على كافة الأصعدة وفي مختلف المجالات.

وبعد أن قدمنا المصطلحين(نقد/ثقافة)،سنتطرق إلى مفهوم النقد الثقافي كنظرية ومقاربة نقدية، وقد وجدنا عديد التعريفات الاصطلاحية التي حاولت أن تعطينا تعريفا دقيقا لهذا النقد ومنها ما ورد في كتاب- نقد ثقافي أم نقد أدبي- الذي يرى بأن: "النقد الثقافي هو نقد يدرس الأدب الفني والجمالي باعتباره ظاهرة ثقافية مضمرة: همه الكشف عن المخفي من تحت أقنعة البلاغي و الجمالية".[6]

ثانيا- مجال اشتغال النقد الثقافي ونظرته للنص الأدبي

وعليه، فإن النقد الثقافي يبحث في الدلالات البعيدة التي تكون قابعة تحت الملامح الجمالية للنص. وباعتبار النص فن والفن عنصر ثقافي يبني المنظومة الاجتماعية ويدفعها إما للتقدم أو يعود بها إلى الخلف. فإن غاية النقد الثقافي هي تجاوز الجمالية النصية والتركيز على المضمر الذي تخفيه النصوص عمدا أو عرضا. وبهذا فهي تعرية للنص من الغلاف الذي يزينه والنظر إلى حقيقته كنسق ثقافي له الدور في البناء أو الهدم (بناء وهدم الأفكار السابقة والأحكام المعمول بها قبل النقد الثقافي)، وهذا ما يسمح بإعادة قراءة التاريخ الأدبي كله من منظور النسقي المضمر بعد أن غطت البنية الإبداعية عن الأعين النقدية النظر إلى ما يخفيه النص من حقائق وشواهد قد تعيد بناء المنظومة الأدبية والنقدية ككل بعيدا عن غزو اللغة واللفظ. وقد جاء في كتاب الغذامي النقد الثقافي -سؤال وجيه- يمهد به ويدعو من خلاله إلى النقد الثقافي جاء الطرح مباشرا: "هل في الأدب شيء غير الأدبية؟!".[7]

نحن نعلم أن كل المناهج النقدية خاصة النسقية منها تبحث في الأدبية وعنها؛ فالأدبية حسبهم هي ما يميز النص ويجعله أدبيا بمعنى شعري، ووظيفة الناقد الأدبي هي البحث عن أسلوب الكاتب أو بنية النص أو الجمع بين هذا وذاك لكن هل وقف يوما الناقد الأدبي عند ما هو أبعد من البنية اللغوية والأسلوب الأدبي؟! هل خرج من شرنقة اللغة كليا ليجعلها فقط وسيلة قد توهمه بعكس ما تحمل؟! هذا ما لم يتوقف عنده النقد الأدبي إما لقصور آلياته. وإما لأن الوقت بالنسبة له غير مناسب ليصبح النص بهذا الوضوح. أو لأن ذلك البحث والنبش يفسد النص ويفقده خصوصيته والغاية التي جعل لها بأنه فن جميل تهذيبي ويجب أن يبقى بهذه الصورة. فالأدب عند النقد الأدبي والثقافي ابن بيئته وابن ظروف عامة أنتجته لكن العمل على النسق الظاهر والمضمر يختلف بين البحثين، "وصار سؤال الثقافة سؤالا يتميز بالجرأة، ولا يتردد في طرح السؤال الذي ظل مصادرا ومكبوتا حتى تناسته الأجيال وطرحته تحت مسمى (الممنوع والمسكوت عنه)".[8] وهذا ما يهدف إليه النقد الثقافي بشكل عام لذا سنحصي بعض الأهداف الأخرى للنقد الثقافي.

ثالثا-أهداف النقد الثقافي

لكل حقل معرفي غاية وجد لأجلها وهدف سطرته نظرياته وفرضياته الأولى التي ما إن يبلغها إذا ما اكتمل كمشروع ليجعل تلك الأهداف واقعية. فأول غاية للنقد الثقافي هي إعادة بناء منظومة إنسانية واجتماعية أكثر قدرة على النظر إلى جوهر الأشياء وعدم التركيز على الهرج الذي قد يضيع الإنسان في متاهات لا حصرلها "إن حاجة الإنسان الغربي إلى العودة إلى ما سماه الفيلسوف هيغل بفلسفة الروح هي التي استدعت ظهور هذا المنهج ولاسيما بعد أن هيمنت المادية والأدائية على الذات الإنسانية وأصبح الفرد أسيرا لعالم المادة وكثيرا ما حذرت الفلسفات الوجودية من استلاب الإنسان من مغبة فقدانه لآدميته".[9]

فالنقد الثقافي هو إنتاج وإن كان أدبيا فهو نتاج بالأول من تجارب الشعوب وأوجاع الأمم وانكساراتها وهكذا... إذن هو حصاد زخم هائل من الثقافات وسلسلة لامتناهية من صراع الحضارات كلها تكمن في نص واحد وفي رؤية موحدة يكتبها قلم واحد ينوب عن الجميع فكيف ينظر بعد ذلك للنص على أنه مقدس وفنيته وجب ألا يتم إفسادها بالبحث في أعماقها التي تفضح الحقائق وتفصح عن الدقائق؟! بل ويقف النقد الثقافي

عند المغالطات ،وفي المقابل كيف يمكن أن نتذوق النص برغم كل تلك الملابسات والجنايات التي أجبره النقد الثقافي على البوح بها؟! وبما أنه فرع من فروع الدراسات الثقافية التي شملت كل مجالات الحياة.

واختص النقد الثقافي بالأدب تحديدا فإنه "وحسب مفهوم الدراسات الثقافية ليس النص سوى مادة خام تستخدم لاستكشاف أنماط معينة من مثل الأنظمة السردية والإشكاليات والأيديولوجية وأنساق التمثيل وكل ما يمكن تجريده من النص. لكن النص ليس هو الغاية القصوى للدراسات الثقافية إنما غايتها المبدئية هي الأنظمة الذاتية في فعلها الاجتماعي في أي تموضع كان بما في ذلك تموضعها النصوصي".[10] فعمل الدراسات الثقافية ويشمل ذلك بالطبع حتى فرع النقد الثقافي يبحث عما يفرزه المجتمع وما ينتج عنه في الأدب والفن والمعتقدات كلها وسائل تسعى لاستنباط الأنساق التي لا يبوح بها العنصر الذي يبحث الدرس الثقافي فيه ويتميز النقد الثقافي بالاتساع والشمولية فهو لا يعنى بالمؤسساتي فحسب أي؛ ما يرتبط بالمناهج المدرسية والمقررات التي تعتد بها الجامعات بل يتجاوز ذلك لدراسة النصوص الجماهيرية أي التي تلقى رواجا واستقبالا وقبولا جماهيريا بغض النظر عن أدبيتها أو جعلها ضمن المناهج الدراسية أو لا فالعمل النقدي الثقافي يعالج كل ما يمكن أن يكون حاملا لقضايا اجتماعية مضمرة سواء كان النص ناتج عن أديب واحد أو نصوص لا مؤلف لها وتناقلتها الألسن (الأدب الشعبي) ،وسواء كان النص بالفصحى أو باللهجات المحلية.فبحث النقد الثقافي أقر بأنه لا يهدف إلى تذوق النص ولا إثبات أدبيته أو دحضها. إذن نقول أن النقد الثقافي "مهمته القيام بدور مفقود في ميادين ومناهج البحث المعاصر للخروج من نفق الشكلانية الروسية الذي أسسه النقد الأدبي وهمه الحفر عن مضمرات الخطاب التي ساهمت الثقافة في غرسها بالتوجه إلى نقد الأنساق والغوص في غياهب النصوص بحثا عن دلالتها المضمرة التي تتشكل تدريجيا وبخفاء حتى تصبح أنساقا ثقافية يرضخ لها الخطاب وتوجه أفعاله التحكمية في المتلقين".[11] فهي دعوة إلى نقد مغاير يختلف عما كانت تدعو إليه المناهج الأخرى (مدرسة الشكلانية الروسية وما امتد منها وانبثق عنها من مقاربات ومناهج)؛

رابعا- النقد الثقافي والمناهج النقدية

النقد الثقافي متشعب نجده ملما بأغلبية المعارف ومنفتح على عديد المجالات منها: النقد النفسي. علم العلامات. السوسيولوجيا وذلك لحاجته إليها في مقاربة النصوص وعدم إغفال أي جزئية قد تجعل النص يبوح بما يخفي، وهذا ما يميز هذا البحث فهو موسوعي وهذه الشبكة المتداخلة من المحتوى المعرفي الزخم نتيجة الأسس الفلسفية والمعرفية التي انطلق منها هذا النقد واعتمد عليها ليقارب النصوص منها الوجودية التي كانت أساسا في ظهور المناهج النسقية "وتبنى نظرية النقد الثقافي تصوراتها انطلاقا من مرجعيات ماركسية".[12] فالمنطلق واحد بين كل المناهج والمقاربات النقدية فلا عجب أن تتشارك وتأخذ من بعضها وتطور من آلياتها بالرجوع إلى دمج بعض ما وجب دمجه والأخذ به لبناء نظرية أكثرفاعلية وخدمة للنص "ومن سنن هذا النقد أن يستفيد من مناهج التحليل العرفية من مثل تأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية وإضافة إلى إفادته منها...".[13]

فتكون النصوص الأدبية هنا أمام تجاذبات النقد الأدبي والنقد الثقافي اللذان وصلا إلى نقطة التقاء رغم أن السعودي **عبد الله الغذامي** أوجب قطيعة بينهما بل هو من دعا للتخلي عن النقد الأدبي والتوجه إلى النقد الثقافي وقال ذلك صراحة في_ كتابه النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية نقلا عما قاله في كتابه -

الخطيئة والتكفير- يقول: "ما يتراءى لنا جماليا وحداثيا في مقياس الدرس الأدبي هو رجعي ونسقي في مقياس النقد الثقافي حسب ما تدعي هذه الدراسة وتحاول أن تثبت كل دعاوي أدونيس في الحداثة سيتضح لنا أيهما خطاب لفظي لا يؤدي إلا إلى مزيد من النسقية والرجعية بما أن النقد الأدبي غير مؤهل لكشف هذا الخلل الثقافي فقد كانت دعوتي بإعلان موت النقد الأدبي وإحلال النقد الثقافي مكانه".[14]

هو هنا يدعو إلى نقد ثقافي يحل محل النقد الأدبي يعجز النقد الأول (النقد الأدبي) عن استيعاب مكنونات الخطابات الأدبية ومثل لنا بأدونيس بل قدم في أكثر من موضع في هذا الكتاب نصوص قد بين فيها الفشل الذريع الذي حققه النقد الأدبي في قراءة النصوص الأدبية خاصة الشعرية منها لأنه أوهم الدارسين والباحثين بالجودة الظاهرة وترك عوالم غاية في الأهمية حبيسة النصوص والرفوف

وبهذا فقد ساهم النقد الأدبي في تشويه التاريخ الأدبي والتغافل عن الحقائق الحضارية التي أعلت نصا على نص فقط بحكم جائر تمثل في الاعتماد على الحس الذوقي الذي ادعى النقد الأدبي أنه تجاوزه لكنه يعود إليه في النهاية ومع كل ذلك يقول **الغذامي**: "هل هناك أنساق ثقافية تسربت من الشعر وبالشعر لتؤسس لسلوك غير إنساني وغير ديمقراطي وكانت فكرة (الفحل) وفكرة (النسق الشعري) وراء ترسيخها... لقد آن الأوان لأن أبحث في العيوب النسقية للشخصية العربية المتشعرنة والتي يحملها ديوان العرب وتتجلى في سلوكنا الاجتماعي والثقافي عامة".[15]

الغذامي هنا قد بين أن هناك خللا في الدراسة السابقة و النظر إلى الأدب وبما أن العرب ديوانهم الشعر لذا خصص الحديث عنه في كتابه، ومثل بشعرهم وفي ذات السياق يعلن أن النقد الأدبي هو من أدخل هذا الديوان والأدب في مطبات أو كما يسميه هو بالعمى الثقافي فيقول: "ولكن النقد الأدبي مع هذا وعلى الرغم من هذا أو بسببه أوقع نفسه وأوقعنا في حالة من العمى الثقافي التام عن العيوب النسقية المختبئة تحت عباءة الجمال وظلت العيوب النسقية تتنامى متوسلة بالجمال الشعري والبلاغي حتى صارت نموذج سلوكي يتحكم فينا ذهنيا وعمليا وحتى صارت نماذجنا الراقية بلاغيا هي مصادر الخلل النسقي ولنأخذ أمثلة على الجمال الشعري وهي أيضا أمثلة على الخلل النسقي، ولنأخذ أمثلة من أبي تمام والمتنبي وأدونيس ونزار قباني وهي أمثلة على الجمال الشعري وهي أيضا أمثلة على الخلل النسقي.."[16] **الغذامي** هنا يرى أن البحث في الجمال بل أن الجمال في حد ذاته نسق أفسد على النقد الأدبي وعلى كل دراسة تهدف للبحث عن الحقائق أفسد عليها بلوغها بإيهام الدارس والناقد أن الجمال لا يخفي سوى مجموعة من الآليات التي صنعت هذه الفنية فلا يخرج الناقد من بحثه سوى بحكم عن هذا النص بأنه بليغ أو أنه نص على عكس ذلك.

خامسا-النقد الثقافي في البيئة النقدية العربية بين القبول والرفض

وقد وجدت دعوة **الغذامي** كثيرا من النقاد المؤيدين لنظرته وآخرين عارضوها والبقية عملوا بما عرفوا ولم نجد لهم رأي في ما جاء به **الغذامي**، فهذا صلاح قنسوه في كتابه تمارين في النقد الثقافي يقول: "النقد الثقافي ليس منهجا بين مناهج أخرى أو مذهبا أو نظرية كما أنه ليس فرعا أو مجالا متخصصا بين فروع المعرفة ومجالاتها بل ممارسة أو فاعليه تتوفر على دراسة كل ما تفرزه الثقافة من نصوص سواء كانت مادية أو فكرية ويعني هنا النص كل ممارسة كانت قولا أو فعلا تولد معنى أو دلاله".[17]

فصلاح قنسوة يقر بما تمخض عن هذا النقد الثقافي في أنه إنتاج متكامل يهدف إلى دراسة النصوص التي أنتجتها الثقافة بغض النظر في كون هذا النص إنتاج مادي أي؛ إنتاج مكتوب موجود كأثر أو أدب المشافهة الغير مدون فكل ما يعبر عن ثقافة مجتمع فهو من اختصاص النقد الثقافي ليصل إلى الدلالات التي يرغب في الوصول إليها فهو إذن يعترف بدور النقد الثقافي المهم ويشهد له بالوجود وبالفاعلية في معالجة النصوص الأدبية ومن جهة أخرى نجد بعض النقاد المعروفين في الساحة النقدية من قبيل **جميل حمداوي** وأيضا **عبد النبيأصطيف** رأوا أن دعوة **الغذامي** بنقض ثقافي يزاحم النقد الأدبي بل ويخرجه تارات كثيرة من دائرة الفعالية و الممارسة الجادة للنصوص والخوض في أبعادها التي تتخفى وراء الجمال هي دعوة قد تضر كثيرا بالنقد الأدبي وتلغي كل الإسهامات التي قدمها فقد "دعا الغذامي إلى موت النقد الأدبي وميلاد النقد الثقافي. بينما يرى جميل حمداوي أن النقد الثقافي هو الذي سيموت يوما".[18] يرجع النظر إلى النقد الثقافي على أنه بحث عام قد جعل فرع منه لخدمة النصوص ودراساتها لكنه يبقى عمله بحسب المنتقدين فقط، ليقول أن الفن ليس جميلا إنما هو عبارة عن أنساق مضمرة وعملنا هو البحث في الوظيفة النسقية للنص لا أكثر. لذا أين الإبداع من كل هذا؟! أين التذوق وإمكانات الأديب اللغوية والبلاغية ومعارفه وخياله؟! هل بالفعل كل نص يخفي مستقبحا ومضمرا وهل بالضرورة يخالف الظاهر ما هو موجود في باطن النص؟! ويرى أيضا عبد النبي اصطيف أن جهود **الغذامي** في النقد الثقافي ما هي إلا بحث من أبحاث النقد الأدبي ولا يمكن للجزء أن يلغي الكل المنتمي إليه بأي حال فالنقد الأدبي عنده ليس حكم على النص في كينونته الأدبية فقط ليحكم عليه وفق نسق مضمر قد يكون غير موجود أصلا.

النقد الأدبي أكثر عمقا ودقة فهو يعمل على ثلاث مستويات المستوى السياقي العام الذي ينتج النص المرتبط بالظروف العامة التي أسهمت في وجوده، ثم دور الثقافة في هذا الإنتاج والتي لا يغفلها النقد الثقافي عبر مناهجه التي تفعل استراتيجياتها لتبحث في هذا العنصر الثقافي المتناول في النص الأدبي، ثم البحث في جمالية الأدب التي لا يمكن إغفالها بما أن النص فن جميل وهي ميزة إذا ما تخلينا عنها سيفقد الحقل الأدبي خصوصيته وخصوبته و ستصبح الدراسة خارجة عن ميدان الأدب أصلا لأن حياة النص في جماليته بغض النظر عن أبعاده الأخرى.[19]

وهناك من رأى أننا بالفعل بحاجة للتخلي الكلي عن كل من النقد الثقافي والأدبي والنظر إلى هذا التشتت الذي أوقع النقاد أنفسهم في إشكالات معقدة لا حصر لها وذلك لأنهم قاموا باستحضار نقد بأصول غربية و حاولوا زرعه في تربة عربية لم يستطع فيها أن يمد جذوره ولا أن يثمر فهو مجرد إرغام له وللنصوص عليه وهذا بالطبع لا يستفيد منه النقد فكانت دعوة إلى نقد عربي وهذا ما ذهب إليه **عبد العزيز حموده** في كتابه -الخروج من التيه دراسة في سلطة النص- إذ يقول: "هل نستمر في اجترار مفاهيم ومبادئ البنيوية والتفكيك والنقد الثقافي ومن قبلها النقد الجديد والواقعية والاشتراكية (...) أم ننتهز الفرصة ونطور مذهبا نقديا عربيا أصبحت الحاجه إليه اليوم في عصر تهدد فيه الثقافة المهيمنة بابتلاع أو محو الثقافات القوية أكثر إلحاحا من أي يوم مضى".[20]

هذا القول يشير إلى أن الناقد **عبد العزيز حموده** يرى أن النقد بصفة عامة إن لم يكن ابن بيئته فهو مجرد اجترار لما هو وليد بيئة مغايرة فهو بذلك لن يقدم شيئا للبيئة الوافد عليها لذا سيكون الصراع القائم بين

النقد الأدبي والنقد الثقافي؛ صراعا أجوفا فكلا النقدين غربي وكلاهما انبثق عن خلفيات مشتركة فلما النزاع والجدل، وبما أن النقد على اختلافه إنتاج ليس لنا بل إقرار بالهيمنة؛هيمنة الغرب على الشرق أي؛ هيمنه قوي على ضعيف حتى في أبسط الأشياء "الدراسات الثقافية توسع من استخدام نظرية الهيمنة".[21] وهذا ما أشار إليه حتى **الغذامي**، فهو يعلم أن النقد ثقافي هو محور من المحاور التي تزكيها الثقافة والدراسات الغربية لأنها تسعى لطمس ثقافة كافة الشعوب في هوية واحدة وثقافه موحدة فإلغاء الجمال والخصوصية العربية في الكتابة والإبداع تعد خطوة صريحة وصارخة لهذا المحو ثم البحث عن كل الوسائل التي تهدم التاريخ الأدبي وجعل الأدب مادة تاريخية حتى لو لم تكن كذلك، فلو كان للغرب مالنا من أدب وشعر ربما لم يفكر في خلق ما يهدم ما بناه أدباء وشعراء تلك النصوص واستعادة أمجاد الإبداع حين بلغ أوجه...

سادسا-التكامل المعرفي بين النقد الأدبي والنقد الثقافي

رغم اختلاف الأفكار و اختلاف الآراء يبقى سؤال مطروحا لأن الإجابة ستكون دوما محكمة بخلفية معينة تختلف من ناقد إلى آخر ومن باحث إلى باحث ونحن في صدد معالجة هذا الأمر وجدنا أن القضية فقط تحتاج إلى التجربة والممارسة، فإن وجد النقد الثقافي إقبالا كبيرا وتوافدا عليه ونجاحا على مستوى المعالجة وتقصي المضمر الذي يخفيه النص الجمالي سيحقق غايته دون أن يعيب على النقد الأدبي أساليبه لأن العلوم والمعارف تسير وفق مبدأ التدافع والتطور؛ فلو لم يوجد النقد الأدبي لما خلق النقد الثقافي وهكذا

إن بقينا نعالج قضية الصراع بين المناهج وتركنا فكرة ما الجديد الذي يدعو إليه أي حديث فإننا لن نفيد من شيء ويبقى النقد بين إشكالات تتراكم يوميا ليصبح فهمه عسيرا والعمل به أكثر عسرا ،ولهذا فإن **الغذامي** كأنه يحاول أن يصالح النقد الأدبي بين حين وحين فقد وضح أن النقد الأدبي أدى دورا مهما في الوقوف على جماليات النصوص وفي تدريبنا على تذوق الجمال و تقبل النصوص؛ فهو يعزز من إسهامات النقد الأدبي في مجال إعطاء النصوص قيمتها الأدبية وجعل النقاد والقراء يعرفون كيف يتقصون ذلك الجمال ويقول: "ليس القصد هو إلغاء المنجز النقدي الأدبي وإنما الهدف هو تحويل الأداة النقدية من أداة في قراءة الجمالي الخالص وتبريره (تسويقه) بغض النظر عن عيوبه النسقية إلى أداة في نقد الخطاب وكشف الأنساق وهذا يقتضي إجراء تحويل في المنظومة المصطلحية".[22]

بعد أن أعلن **الغذامي** عن موت النقد الأدبي فهو الآن يقول أن القصد ليس إلغاء المنجز النقدي الأدبي، ثم يضيف أن الإشكال في ذات النقد هو جعل الجمال الأدبي عنصر من العناصر التي وجب أن تكون في النص ووجب الوقوف عندها لا أكثر .

و الأكيد أن أي مجال معرفي يبدأ بالنظر إلى معارف سابقة على أنها مجرد أخطاء ويتم تداركها في ما بعد ومعرفة أهمية تلك المعارف السابقة في بناء المعارف الجديدة، "وقد كان للنقد الأدبي إنجازات كبرى على مر العصور ويكاد يكون هو العلم الأكثر امتدادا والأعمق تجربة بين سائر العلوم في الثقافة العربية ولا شك أنه العلم الذي حقق لنفسه استقلالا يوما عن المؤثرات السلطوية".[23]

ويبقى النقد الأدبي سواء في بداياته العربية أو في تلقي قوالبه الغربية الجاهزة (المنهج والمصطلح) فإن له إسهام كبير في معالجة النصوص ومحاولة مقاربتها للوصول إلى ما صنعته اللغة وقد عرف انتشارا واسعا ليدل ذلك على نجاعة أساليبه ونجاحه ولا زال النقد الأدبي يقدم الأحدث لخدمة النصوص الأدبية كما هو الحال مع

النقد الثقافي الذي هو في النهاية إنتاج تراكمي ومعارفي، وإن لم يكن امتدادا للنقد الأدبي فهو متمخضا عن إحدى ولاداته وأخذ كثيرا من آلياته لكن النقد الثقافي دعا إلى كسر القالب القديم وبناء قالب بصري جديد ينظر إلى النص الأدبي على أنه زخم ثقافي لا غير

ومن هنا نقول: "أن النقد الثقافي لن يكون إلغاء منهجي للنقد الأدبي بل أنه يعتمد اعتمادا جوهريا على المنجز الإجرائي للنقد الأدبي".[24] ليصل إلى ما لم يصل إليه النقد الأدبي في دراسته للنصوص الأدبية. لتبقى الساحة النقدية تزخر بهذا التنوع في النظريات والبحوث فقط من أجل خدمة النص و الإنسانية انطلاقا مما يجود به النص الأدبي الذي يبقى دوما مادة خام تتنازعه المقاربات من أجل تقديم مايمكنها تقديمه من آليات وإجراءات لتحاوره وتغوص في دلالاته وظواهره

خاتمة

في نهاية هذا المقال نورد أهم النقاط التي توصلنا إليها:

- مشروع **عبد الله محمد الغذامي** مشروع غربي تواجده في الساحة النقدية العربية كان نتيجة التثاقف والتأثر بالإنتاج النقدي الغربي. ولحظة تبني **الغذامي** له كانت لحظة عرضية لأنه استوحى المنهج قبلا من خلال محاولته البحث في قضية المهمش "أول قضية ثقافية عالجها هي قضية المرأة في الشعر وتمثلاتها في النصوص الشعرية، فكانت تلك هي لحظة إعلانه عن البحث في المهمش وفي النسق الخفي المتخفي تحت جمال جلي لا يكشف ولا يفضح ما تحته بل يتعمد التكتم بوعي أو دون وعي".

- النص الذي يتم تطبيق النقد الثقافي عليه وجب أن يكون نصا يحمل نسقين نسق ظاهر تجمله عادة اللغة ونسق مضمر يناقض النسق الظاهر ويكون هو محل اشتغال واهتمام النقد الثقافي الذي يعمل على تقويض المعنى الظاهر وإبراز قيمة النص انطلاقا من مضمره.

- النقد الثقافي تميز بالشمولية واستقطاب المناهج للأخذ منها كما أنه بحث شامل في كل ما يتصل بالأدب خاصة الجماهيري بغض النظر عن أدبيته وشهرته.

- التركيز على دراسة المهمش في النقد الثقافي لأنه يمثل الأقليات التي يؤدي تهميشها في المجتمع إلى الخلل في المنظومة الاجتماعية وانهيارها. فعالج "قضية المرأة. وقضية الزنوج /والأقليات والعنصرية/والمركز. الهامش. والذكورة والأنوثة/الأبيض والأسود "ليقلل من حدة هذه الظواهر التي وإن ادعى المجتمع الراقي تجاوزها لكنها لازالت تعيش وتقبع في النسق المضمر وتتخفى بالمثالية اللغوية الصارخة.

- النقد الثقافي دعوة جديدة أضافت للنقد والأدب الكثير وهي تسير والنقد الأدبي نحو تفعيل أفضل الآليات للبحث في مغاليق النصوص وعوالمها الغامضة المخبئة في دهاليز اللغة سواء بحث ينطلق من الفنية أو بإلغائها. ويأخذ كلا النقدين من بعضهما.

- حاول النقد الثقافي التركيز على فكرة إزالة فكرة الهامش و المركز والشرق المتخلف والغرب المتقدم. لكن هذا النقد نراه يعمل على عكس ذلك لأن الحقيقة أن الشرق تابع للغرب وكل الدراسات الثقافية تقول ذلك ويصعب اجتثاث هذه الثنائية القائمة على مؤثر ومتأثر .والنقد الثقافي ذو الأصول الفلسفية الغربية لا يمكنه أن يتبنى فكرة تناقضه أو تناقض هدف من وضعوا هذا النقد. الذي يهدف إلى أمركة العالم وإلغاء الهامش ليكون هناك ابتلاع وإلغاء كلي للطرف الضعيف.

- ككل دراسة النقد الثقافي أفاد كوافد النقد وشغل مكانا وكان له صوت وصدى وكان ثورة سواء قبولا وتأييدا أو رفضا وتعارضا أو حيادا وتجاوزا.

1 بوشيبة بوبكر، "النقد الثقافي في نسخته العربية الغذامي والتشويه النسقي الثقافة العربية"، مجلة الآفاق العلمية"، جامعة زيان عاشور، الجلفة (الجزائر)،المجلد13، العدد2، السنة2021، ص174.

2 رابح طبجون، "النقد الأدبية ومناهجه وقضاياه عند عبد الله الركيبي"، مجلة المعيار، العدد الثاني عشر، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة، ص331.

3 ابن منظور، لسان العرب، المجلد3، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، (د ت)، ص28.

4 بوشيبة بوبكر المرجع السابق، ص233.

5 مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط4، 2004، ص44.

6 عبد النبي أصطيف نقد ثقافي أم نقد أدبي-عبد الله الغذامي،ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2004، ص84.

7 عبد الله الغذامي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط3،المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2005، ص08.

8 عواج حليمة، مبروك حسين، استراتيجية النقد الثقافي -مقاربة النص الأدبي، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة باتنة، المجلد4، العديد 4، عدد خاص، 2020، ص34.

9 بوسيبة بوبكر، المرجع السابق، ص146.

10 عبد الله الغذامي، قراءة في الانساق الثقافية العربية، ص17.

11 عابد لزرق، الخطاب والنقد الثقافي -مقاربة ثقافية في رواية ذاكرة الجسد، كلية اللغات والآداب، جامعة خنشلة، العدد الأول، ص91.

12 نعيمة دبار، الأنساق الثقافية لنظرية النقد الثقافي، مجلة التواصل في اللغات والآداب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باجي نختار، عنابة، المجلد2، العدد4، ص178.

13 المرجع نفسه، ص178.

14 عبد الله الغذامي، الأنساق الثقافية -قراءة في الانساق الثقافية العربية، ص8.

15 المرجع نفسه، ص7.

16 المرجع نفسه، ص8.

17 صلاح قنصوة، تمارين في النقد الأدبي، ط1،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2007، ص11.

18 جمال سايحي. طيب بودربالة، أثر الدراسات الثقافية الغربية في النقد العربي المعاصر دراسة تحليليه، مخبر المتخيل الشفوي والمشافهة والكتابة والصورة، مجلة الإحياء، العدد23، ص541.

19 ينظر عيد النبي أصطيف، المرجع السابق، ص19.

20 عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه -دراسة في سلطة النص، (د ط)، عالم المعرفة، الكويت 2003، ص274.

21 عبد الله الغذامي، المرجع السابق، ص17.

22 عبد النبي أصطيف، المرجع السابق، ص19.

23المرجع نفسه، ص17.

24المرجع نفسه، ص21.

المراجع

1- ابن منظور، لسان العرب، المجلد3، ط1،دار صادر، بيروت، لبنان، (د ت)، ص28.

2- بوشيبة بوبكر، "النقد الثقافي في نسخته العربية الغذامي والتشويه النسقي الثقافة العربية مجلة الآفاق العلمية"، جامعة زيان عاشور، الجلفة (الجزائر)، المجلد13.العدد2، 2021.

3- جمال سايحي. طيب بودربالة،"أثر الدراسات الثقافية الغربية في النقد العربي المعاصر دراسة تحليليه"، مخبر المتخيل الشفوي والمشافهة والكتابة والصورة، مجلة الإحياء، العدد23.
4- رابح طبجون، "النقد الأدبية ومناهجه وقضاياه عند عبد الله الركيبي"، مجلة المعيار، العدد الثاني عشر، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة.
5- صلاح قنصوة، تمارين في النقد الأدبي، ط1،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2007.
6- عابد لزرق، الخطاب والنقد الثقافي -مقاربة ثقافية في رواية ذاكرة الجسد، كلية اللغات والآداب، جامعة خنشلة، العدد الأول.
7- عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه -دراسة في سلطة النص، (د ط)،عالم المعرفة، الكويت 2003.
8- عبد الله الغذامي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط3،المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2005.
9- عبد النبي أصطيف نقد ثقافي أم نقد أدبي-عبد الله الغذامي، ط1،دار الفكر، بيروت، لبنان، 2004.
10- عواج حليمة، مبروك حسين، "استراتيجية النقد الثقافي -مقاربة النص الأدبي"، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة باتنة، المجلد4، العديد 4، عدد خاص، 2020.
11- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ط4،دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2004.
12- نعيمة دبار، "الأنساق الثقافية لنظرية النقد الثقافي"، مجلة التواصل في اللغات والآداب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باجي نختار، عنابة، المجلد2، العدد4.